جامعة الأزهر
كلية أصول الدين- بالقاهرة
قسم التفسير وعلوم القرآن

# شبهات وردود حول القرآن الكريم

إعـــــداد
د/ شعبـــان محمد عطية علي
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد أنزل الله خير كتبه على خير رسله ليكون هداية للأمة من كل ضلالة، وكاشفاً لكل جهالة، ونورًا من كل ظلمة، فهو الكتاب الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ورغم كل ذلك فقد حاول البعض قديمًا وحديثًا محاولات يائسة بغية إطفاء نوره، والقضاء على حجته وبرهانه، ومن هذه المحاولات ما جاء على موقع «زلزال مكة» أحد مواقع الإنترنت، وهو موقع تقوم عليه جهة مجهولة، من خلاله تحاول أن تنفث سمومها وشرورها من أكاذيب وافتراءات على كتاب الله الخالد؛ لذلك فقد حاولت أن آتي ببعض هذه الشُّبه وأقوم بالرد عليها على حسب توفيق الله تعالى رجاء أن أكون قدمت جهدًا ولو كان قليلاً في خدمة هذا الكتاب المجيد.

* * *

## الشبهة الأولى:

ومن هذه الشبه التي جاءت على هذا الموقع ما يأتي:

يقولون :

**س:** خمس كتب؟! ما معنى هذا؟ هل كان الله ناسيًا كم كتابًا بعث فيهم؟

ثم استدلوا على شبهتهم بقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٢، ٣]

*** قبل أن نجيب على هذه الشبهة نحب أن نؤكد على جملة أمور:**

**أولاً:** هاتان الآيتان قد قُرئتا على علماء اليهود من أسلم ومن لم يسلم كما قرئت كذلك على نصارى نجران وفيهم من أهل العلم بدينهم فلم ينكروا ولم يعترضوا علما بأن منهم من كان أشد عداوة لدين الله وأحرص على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء بكثير يتضح ذلك لمن له أدنى اطلاع على كتب التاريخ والسيرة النبوية.

**ثانيًا:** لقد كان السابقون أعلم بلغة العرب وبالكتب السماوية التي أنزلها الله عز وجل على رسله الكرام من هؤلاء ولو كان عندهم علم يناقض هذا الذي جاء في القرآن ويكذبه لأعلنوا ذلك صراحة ولكان مبررا لهم على الأقل أمام أتباعهم لتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم يفعلوا دل ذلك على تسليمهم بصحة ما جاء في كتاب الله تعالى.

**ثالثًا:** نقول أيضًا: إن القرآن الكريم وغيره من الكتب السماوية ليس فيها ما ينفي أن يكون الله تعالى قد أنزل كتبًا أخرى غير هذه المذكورة وإن كان القرآن قد صرح بأن هناك رسلا لم يقص علينا خبرهم فما المانع عقلا أو شرعا أن يكون الله قد أنزل كُتبًا عليهم سواء أقص علينا خبرها أم لا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...﴾ [غافر:٧٨].

**رابعًا:** هل هؤلاء الأقزام الذي يرددون مثل هذه الترهات على علم ليس عند من



سبق من أسلافهم؟ أم أن هذا هو الحقد والحسد الأعمى يتحرك داخل أفئدة القوم فأنتج هذه المحاولات اليائسة منهم للنيل من القرآن كتاب الله الخالد ورغبة في إطفاء شموعه الساطعة في سماء الكون كله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**خامسًا:** نحب أن نقف القارئ الكريم على أقوال أئمتنا في تفسير الآية الكريمة:

* يقول العلامة الألوسي رحمه الله: وذكر بهذا العنوان بعد أن ذكره باسم الجنس تعظيمًا لشأنه ورفعًا لمكانه وأخرج ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير أنه الفاصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى عليه السلام وغيره، وأيد هذا بأن صدر السورة كما قدمنا نزلت في محاجة النصارى للنبي صلى الله عليه وسلم في أمر أخيه عيسى عليه السلام، وعليه يكون المراد بالفرقان بعض القرآن ولم يكتف باندراجه في ضمن الكل اعتناء به، وقيل المراد جنس الكتب الإلهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريقة التتميم بالتعميم إثر تخصيص بعض مشاهيرها، وقيل المراد: الكتب المذكورة أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الإنزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي. وقيل المراد به الزبور وتقديم الإنجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الأحكام وشيوع اقترانهما في الذكر، واعترض بأن الزبور مواعظ فليس فيه ما يفرق بين الحق والباطل من الأحكام وأجيب بأن المواعظ لما فيها من الزجر والترغيب فارقة أيضًا ولخفاء الفرق فيها خصت بالتوصيف به وأورد عليه بأن ذكر الوصف دون الموصوف يقتضي شهرته به حتى يغني عن ذكر موصوفه، والخفاء إنما يقتضي إثبات الوصف دون التعبير به، وقيل المراد به: المعجزات المقرونة بإنزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل[1].

* وهذا الوجه الأخير هو الوجه الذي اختاره الأمام الرازي – رحمه الله تعالى– فقد ذكر الأقوال السابقة وضعفها ثم قال: والمختار عندي في تفسير الآية وجه راجح وهو

---

(١) روح المعاني ج٣ / ١٢٥، ١٢٦ طبعة دار الفكر ١٩٩٣ /١٤١٤ دون ذكر رقم الطبعة.

أن المراد من هذا الفرقان: المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب وذلك لأنهم لما أتوا بهذه الكتب وادعوا أنها كتب نازلة عليهم من عند الله تعالى افتقروا في إثبات هذه الدعوى إلى دليل حتى يحصل الفرق بين دعواهم ودعوى الكذابين. فلما أظهر الله تعالى على وفق دعواهم تلك المعجزات حصلت المفارقة بين دعوى الصادق ودعوى الكاذب، فالمعجزة هي الفرقان، فلما ذكر الله تعالى أنه أنزل الكتاب بالحق وأنه أنزل التوراة والإنجيل من قبل ذلك بين أنه تعالى أنزل معهما ما هو الفرقان الحق، وهو المعجز القاهر الذي يدل على صحتها، ويفيد الفرق بينها وبين سائر الكتب المختلفة فهذا هو ما عندي في تفسير هذه الآية، وهب أن أحدًا من المفسرين ما ذكره إلا أن حمل كلام الله تعالى عليه يفيد قوة المعنى وجزالة اللفظ واستقامة الترتيب والنظم[1].

قلت: هذا ما جاء عن بعض علمائنا وأئمتنا في هذا المقام فسواء اعتبرنا أن ذلك من قبيل عطف الخاص على العام، أو أن المراد الزبور، أو المعجزات أو غيرها فلا إشكال ولا تعارض ولا نسيان كما زعموا وادعوا، ولو أن القوم أنصفوا واتقوا لما كان لهم أن يرددوا مثل هذه الأكاذيب ولكنها المحاولات اليائسة التي يحاول من خلالها هؤلاء الأعداء التشويش على واقعية ومصداقية ما جاء في القرآن.

* * *

## الشبهة الثانية

ومن شبهم أيضا ما ذكروه في قصة سيدنا يوسف عليه السلام حيث قالوا:

**س: جاء في قصة يوسف من الآية[ ٢٥-٢٩] ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.... إلى قوله ... إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾**

**قالوا: ونحن نسأل من أين جاء الشاهد؟ هل كان في البيت؟ ومع من؟ والبيت لم يكن به أحد؟ والكتاب المقدس يقول: إنها لما أمسكت يوسف من ثوبه تركه معها**

(١) مفاتيح الغيب ج٧ /١٥٧ طبعة المكتبة التوفيقية بدون رقم وتاريخ الطبعة.



**وهرب، فكيف القول إنها قدته وهرب هو به؟ وكيف يعلن قوطيفار براءة يوسف وذنب امرأته ثم يبقيها هي ويوسف في البيت وي٧رضى بهذا العار؟ وكيف بعد أن يحكم قوطيفار ببراءة يوسف وبعد أن تصرح زوجته أنها راودته عن نفسه فاستعصم تعود فتهدد يوسف بالسجن إن لم يفعل ما أمرته به من فحشاء فيقبل قوطيفار أن يسجنه لا لشره، بل لعفته؟**

**وللجواب عن هذه الشبهة أقول:**

أولاً: إن الشاهد لم يكن بداخل الدار، بل كان بخارجها، يؤكد على ذلك سياق الآية الكريمة، قال تعالى:﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ....﴾ فمراودتها إياه، وتغليقها الأبواب، يفيد أنها تحرت عدم وجود أحد داخل الدار، وإلا فما قيمة غلقها الأبواب؟

وأيضاً ما حكى الله على لسان الشاهد من قوله: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ....﴾ الآية وقوله:﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ....﴾ الآية يؤكد أنه لم يكن موجودًا داخل الدار، إذ لو كان بداخلها ورأى ما حدث لحكم ابتداء عليها بالخطأ، وليوسف عليه السلام بالبراءة، فيما لو كان الرجل عادلاً أميناً في حكمه، راغباً في إظهار الحق بخلاف ما لو كان يريد إثبات براءتها وكذب يؤسف عليه السلام وهو ما رجحه الشيخ الطاهر بن عاشور حيث قال: والظاهر أن الشاهد كان يظن صدقها فأراد أن يقيم دليلاً على صدقها فوقع عكس ذلك كرامة ليوسف عليه السلام[1] .

ثانيًا: قولهم: الكتاب المقدس يقول: أنها لما أمسكت يوسف من ثوبه تركه معها وهرب، فكيف القول أنها قدته وهرب هو به؟

وأيضاً: ما جاء في القرآن هو الذي يتفق مع الحال التي كان فيها يوسف عليه السلام، ذلك أن المرأة كانت تطارده بعد أن أحكمت خطتها، ويوسف عليه السلام هو من هو في الدين والصلاح والتقوى بمقتضى نبوته، وهذا وذاك يقتضي من يوسف

(١) التحرير والتنوير ٢٥٧/١٢.

عليه السلام أن يفر منها هرباً، ومنها أن تندفع خلفه لتجذبه إليها، ويبدو أن الثوب لم يكن من الجودة بمكان بحيث إنه لم يبق متماسكاً مع جذب المرأة له منه وهي في حال غضب إحساساً منها بجرح كرامتها وانتقاماً لكبريائها، إذ كيف يرفض من كان في مثل يوسف عليه السلام- وهو من وجهة نظرها خادم لها- طلبًا منها كهذا؟ إنها امرأة العزيز!! ذات المنصب والجمال!! من أجل ذلك جذبت المرأة الثوب، والظاهر من سياق الآيات أن قوة جذبها له من الثوب أدى الى خلعه مع مواصلة يوسف عليه السلام محاولة الهرب منها.

أما قولهم جاء في التوراة أنها لما أمسكت به ترك ثوبه وهرب، فكيف القول إنها قدته وهرب هو به؟

**أقول: أولاً:** لو سلمنا بصحة ما جاء في التوراة فإنا لا نسلم بأن القرآن صرح بهروبه به بعد أن قدته وهو ما أنكروه، بل كل ما جاء في الآيات أنها لما قدت قميصه وجدا سيدها لدا الباب فلم يقل القرآن انه ترك ثوبه معها أو هرب هو به، فمثل هذا وذاك لا يترتب عليه كبير حكم وإنما الذي يفهم من الآيات أن القميص كان بحيث لا يراه الشاهد فسواء كان معه أو معها حينئذ فلا ضير.

**ثانيًا:** ما جاء في التوراة أنها لما أمسكت به ترك ثوبه وهرب، فهذه العبارة قد توحي بأن يوسف عليه السلام قد تركه مختاراً مع أن الواقع أنه لو كان قد تركه بالفعل كما قيل فذلك بعد جذبها له بعنف، وأيا ما كان الأمر فهذا لا ينافي ما جاء في القرآن الكريم، لأن المفهوم من القرآن أن يوسف عليه السلام لم يكن مرتدياً ثوبه وقت شهادة الشاهد بغض النظر مع من كان القميص إذ لا قيمة لذلك أصلاً ولنذكر الآيات مرة أخرى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فالظاهر أنه لم يكن مرتدياً إياه ساعتئذ، وإلا فلا معنى لشهادة الشاهد. وإنما قضى الشاهد بذلك؛ لأن الأمر كما قال الشيخ الطاهر بن عاشور: لو كانت أمسكت ثوبه لأجل القبض عليه لعقابه لكان ذلك في حال استقبالها إياه فإذا أراد الإفلات منها، تخرق قميصه من قُبُل، وبالعكس إن كان



إمساكه في حال فرار وإعراض، ولا شك بأن الاستدلال

بكيفية تمزيق القميص نشأ عن ذكر امرأة العزيز وقوع تمزيق القميص تحاول أن تجعله حجة على أنها أمسكت به لتعاقبه، ولولا ذلك ما خطر ببال الشاهد أن تمزيقًا وقع وإلا فمن أين علم الشاهد تمزيق القميص؟[١].

وأما القول: بأنه كيف يقبل قوطيفار براءة يوسف وذنب امرأته ثم يبقيها هي ويوسف في البيت، ويرضى بهذا العار، وبعد أن يحكم قوطيفار ببراءة يوسف، وبعد أن تصرح زوجته أنها راودته عن نفسه فاستعصم تعود فتهدد يوسف بالسجن إن لم يفعل ما أمرته به من الفاحشة يتقبل قوطيفار أن يسجنه لا لشره بل لعفته!!

والجواب على ذلك ما ذكره العلامة القرطبي حيث قال: بعد أن ذكر الإشكال السابق وفيه قولان: أحدهما أنه لم يكن غيوراً فلذلك كان ساكتاً، وعدم الغيرة في كثير من أهل مصر موجود، والثاني: أن الله تعالى سلبه الغيرة، وكان فيه لطف بيوسف حيث كف بادرته وعفا عنها[٢] ، قال الشيخ الطاهر بن عاشور: قال المفسرون: فكان العزيز قليل الغيرة وقيل: كان حليمًا عاقلاً، ولعله كان مولعًا بها، أو كانت شبهة المُلك تخفف مؤاخذة المرأة بمراودة مملوكها، وهو الذي يؤذن به حال مراودتها يوسف عليه السلام حيث بادرته بقولها: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[٣].

قلت: وإضافة لشدة حبه لها، وتعلقه بها يمكن القول بأن تصرف نسوة المدينة ضعف الأمر على نفسه، واكتفى بوضعه، عليه السلام في السجن.

* * *

## الشبهة الثالثة

ومن شبههم أيضاً:

س: هل الله يغفر للمشرك أم لا؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

(١) التحرير والتنوير ٢٥٧/١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧٥/٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.

(٣) التحرير والتنوير ٢٥٧/١٢.

**ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] تناقضها: ﴿وكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ... ﴾ إلى آخر الآيات [الأنعام: ٧٥- ٧٨].**

**والجواب عن هذه الشبهة أن نقول:**

أولاً: الآية الأولى تتحدث عمن مات مصرّ اعلى شركه فهذا لا يغفر الله له وهذا أمر مجمع عليه وإلا فلا قيمة للرسالات، أما من تاب من شركه فهذا داخل تحت قوله تعالى﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ وهذا معلوم من تصرفه صلى الله عليه وسلم حيث كان يأتيه المشركون فيُسلمون فيقبل ذلك منهم فدل ذلك على أن التوبة من الشرك مقبولة، فعندما أسلم عمرو بن العاص جاء للنبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده إليه فقال عمرو: لا أبايعك يا رسول الله حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي،فقال: له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو أما علمت أن الإسلام يَجُب ما كان قبله من الذنوب؟[١].

هذا والسنة النبوية ونصوص القرآن من قبل قاطعة بذلك؟! وما جاءت الشرائع السماوية قاطبة إلا بقبول التوبة من الشرك وما الإسلام إلا واحدة منها والله يعلم ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم وأذن فمن المسلمات في دين الله قبول التوبة من المشرك ومن المسلمات كذلك أن من مات مصراً على شركه فلا يغفر له كما أسلفنا قريباً وأما من مات موحداً وله ذنوب لم يتب منها فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وهذا هو المشار إليه بقوله تعالى ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فمرجع اسم الإشارة إلى الشرك أي: يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، ولعل حديث عبادة بن الصامت في الصحيح يوضح ذلك، فقد أخرج البخاري وغيره عن

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٠٥/٤، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم، مؤسسة قرطبة - القاهرة، وصححه الألباني، انظر: إرواء الغليل ١٢١/٥، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥- ١٩٨٥.



عبادة بن الصامت، قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس، «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، وفي رواية لا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفَّى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه» فبايعناه على ذلك[١]، وأخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله ما المُوجبتان[٢]؟ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئًا دخل النار»[٣].

**قال أبو حيان في البحر عند تفسير الآية:** وأجمع المسلمون على تخليد من مات كافرًا في النار وعلى تخليد من مات مؤمناً لم يذنب قط في الجنة، فأما تائب مات على توبته فالجمهور على أنه لاحق بالمؤمن الذي لم يذنب، وطريقة بعض المتكلمين أنه في المشيئة وأما مذنب مات قبل توبته فأهل السنة يقولون هو في المشيئة فإن شاء غفر له وأدخله الجنة، أول وهلة وإن شاء عذبه وأخرجه من النار وأدخله الجنة بعد مخلداً فيها[٤] .

وأما آيات سورة الأنعام التي ذكروها ففي شأن محاجة سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه فلا تعارض بينها وبين آية النساء بحال. أما إشارة القوم إلى أن سيدنا إبراهيم

(١) البخاري ٢٦٣٧/٦ (٦٧٨٧)، كتاب: الأحكام، باب: بيعة النساء. دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ورواه مسلم ١٣٣٣/٣ (١٧٠٩)، كتاب: الحدود، باب: الحدود كفارات لأهلها. دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ورواه الترمذي ٤٥/٤ (١٤٣٩)، كتاب: الحدود، باب: أن الحدود كفارات لأهلها. دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

(٢) أي: ما الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار.

(٣) مسلم ٩٤/١ (٩٣)، كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئًا.

(٤) البحر المحيط ٢٦٨/٣بتصرف يسير دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

عليه السلام قد وقع منه الشرك كما جاء في الآيات كما وهموا وإن كان قد تاب عليه بعد ذلك فلا متمسك للقوم فيما ذهبوا إليه أيضًا، فإن تمسك القوم بقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام ﴿هَذَا رَبِّي﴾ بعد أن رأى الكوكب والقمر والشمس فقد حكى العلماء في ذلك وجوهًا:

**الوجه الأول:** أن ذلك قبل البلوغ، وقبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذي صدر عنه عليه السلام اعتبارًا في ذلك الوقت، ولا يترتب عليه حكم، لأن الأحكام إنما تثبت بعد البلوغ.

**الوجه الثاني:** الذي عليه جمهور المحققين أن ذلك بعد البلوغ بعد أن شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة، ثم اختلفوا في تأويل الآية على وجوه:

١- أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم والكواكب وعبادتها لأنهم يرون أن كل الأمور إليها فأراد ابراهيم عليه السلام أن يريهم أنه مُعظم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم الغيبوبة والأفول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الألوهية ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنمًا حينًا فأظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه في كثير من أمورهم حتى دهمهم عدو لا قبل لهم به فشاوروه في أمر هذا العدو فقال الرأي عندي أن تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون إليه فلم يغن شيئاً، فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع، دعاهم الحواري وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا جميعًا.

٢- أن إبراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام، وهو استفهام إنكار وتوبيخ لقومه وتقديره أهذا ربي الذي يزعمون؟ وإسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، يعني: أفهم الخالدون؟ والمعنى: أيكون هذا ربًا ودلائل النقص فيه ظاهرة؟



**الوجه الثالث:** أن إبراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول: هذا ربي بزعمكم، فلما غاب قال: لو كان إلهًا كما تزعمون لما غاب فهو كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، يعني عند نفسك وبزعمك، وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه:٩٧] يريد إلهك بزعمك.

**الوجه الرابع:** أن في الآية إضمارًا تقديره: يقولون هذا ربي وإضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: يقولان ربنا تقبل منا[1].

وأما الجواب عن قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ فإن الأنبياء عليهم السلام لم يزالوا يسألون الله التثبيت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قلت: وسياق الآيات يوضح أن الذي كان من إبراهيم عليه السلام كان حجة من الله له لا وقوعاً للشرك منه، قال تعالى قبل هذه الآيات: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، وفي آخرها ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.....الآية﴾.

بهذا يتبين لنا أن محاولات القوم ما هي إلا محاولات يائسة للنيل من قدسية القرآن الكريم مدفوعة بحقد دفين، ومغلفة بحسد أسود، أعمى قلوب القوم وبصيرتهم بهدف زعزعة ثقة المسلمين في كتاب ربهم، وليكون ذلك مانعا من موانع بني قومهم عن التفكير في الدخول في دين الله عز وجل، لا لسبب آخر، فهؤلاء ليس عندهم من العلم بلغة العرب أو حتى بكتبهم عشر معشار ما كان عليه آباؤهم من قبل، وبالأخص أولئك الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو حتى صحابته الأقربين، فلو بدا لهم شيء مما بدا لهؤلاء لأقاموا الدنيا وما أقعدوها، وكم تليت عليهم هذه الآيات؟ فما

---

(١) الخازن بالبغوي ٢/ ١٥٢- ١٥٤.

تكلموا، فهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن السابقين رغم عداوتهم للحق كانوا على جانب من الصراحة والمصداقية ليست عند هؤلاء القوم، وبهذا يتبين لنا عدم صحة ما ذهب إليه هؤلاء بحال والله تعالى أعلم.

* * *

## الشبهة الرابعة

**س: جاء في سورة القصص: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]، وقوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].**

**وجاء في سورة غافر: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٩]، قالوا: يقول القرآن: إن هامان كان وزيرًا لفرعون بينما يثبت التاريخ أن هامان كان وزيرًا لأحشويرش، وأن بين فرعون وهامان زهاء ألف سنة، ثم إن فرعون كان ملك مصر، أما هامان فقد كان وزيرًا في بابل لأحشويرش ملك الفرس "زركيس" وما أبعد الزمان بين فرعون وهامان فكيف يكون وزيرًا لفرعون؟**

*** وللجواب عن هذه الشبهة أقول:**

**أولاً:** هامان مذكور في القرآن المجيد في ستة مواضع مختلفة على أنه أحد المقربين من فرعون، الأول والثاني ما جاء في سورة القصص، والثالث ما جاء في آية غافر، وقد مرت المواضع الثلاثة في شبهة القوم، والرابع ما جاء في القصص في قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦].

والخامس: في سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت:٣٩].

والسادس: ما جاء في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا



وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٢-٢٣].

هذا ما جاء في القرآن الكريم عن هامان، بينما لم تذكر التوراة الحالية هامان في حياة سيدنا موسى عليه السلام على الإطلاق، بل تذكر أنه كان وزيرًا وخليلاً لأحشويرش ملك الفرس الذي يدعوه اليونان «زركيس» وهو ما بنى عليه القوم شبهتهم في محاولة أخرى للطعن منهم في القرآن الكريم.

ثانيًا: إن القرآن الكريم نقل إلينا بأوثق الطرق وأدقها، تلك التي لا تترك لمرتاب سبيلاً لأدنى مطعن في ذلك، فضلاً عمن له حظ من الإنصاف والموضوعية بعيدًا عن العناد والمكابرة،بخلاف التوراة والإنجيل باعتراف علمائهم لم تنقل إليهم بسند متواتر ولا حتى أحاد!!

ثالثًا: أننا كمسلمين نقر بما جاء في القرآن الكريم من تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٢-١٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

أقول: فإذا كان هؤلاء يدعون كذبًا وزورًا بوجود خطأ تاريخي في القرآن الكريم فإننا نؤمن بأن التوراة والإنجيل قد دخلهما من التحريف ما دخلهما بشهادة الله تعالى، فلا مانع أن يكون الجزء المتعلق بهذا الموضوع قد حرف بغرض إثبات عدم تطابق

أنها مقتبسة من أسطورة بابلية قديمة، ولكنها حورت إلى ما يناسب طبيعة اليهود من اعتمادهم على النساء في التجسس، ودفعهن إلى المملوك والقواد لاستمالة قلوبهم بجمالهن، وإغرائهن بمفاتن أجسادهن.

ثم يضيف: ويرى الباحثون أن القصة وضعت نموذجًا لتحتذيه الإسرائيليات، أما أدلة كذبها فهي أنها لم تذكر في غير التوراة، والنبيان «عزرا وتحميا» اللذان كانا من أوائل العائدين من بابل، واللذان قصا قصة السبي البابلي لم يشيرا إلى «استير» ولا إلى أي شيء مما جاء في السفر المسمى باسمها وكذلك المؤرخ الإغريقي «هيرودوت» الذي عاصر «اكزسيس» ودون سيرتة لم يشر إلى «استير» وأحداثها، فإذا كان ثم كذب وتلبيس في الأسماء فـ«هامان» إله عيلامي قديم، و«مردخاي» إله كلداتي، وربما كان اسم «استير» محرفًا عن «عشتار»، وهذا مما يوضح أن القصة أخذت عن أسطورة، ثم يقول: كيف يعارض الاسم الذي يثبت تاريخيًا باسم خيالي اخترع بعده بزمن طويل، وقامت الأدلة على أنه خرافة[1].

وذكر صاحب كتاب: pho وترجمه للعربية: د/ أحمد زهير أمين بعنوان: رمسيس الثاني – فرعون المجد الانتصار.

كان الشاب آمن لـ(هامن/هامان) آم اينت AMON EM INET في مثل سن الأمير رمسيس(٢) ورفيق صباه فلما أصبح رمسيس الثاني نائبًا للملك ووريثًا للعرش أصبح الفتى بالتبعية رفيقه وتابعه ففتح له الطريق لمستقبل زاهر وهو ما تحقق فعلاً «لآمن آم اينت» AMON EM INET «هامان» أقارب ذوو نفوذ منهم عمه لعله «منموس» MINMOSE كبير كهنة الإله «مين» والإلهه «إيزيس» بقفط شمال طيبة وقائد فيالق النوبة أي الساعد الأيمن لنائب الملك في النوبة ومنهم الفتى «باكن خنسو»

(١) مفتريات المبشرين على الإسلام. د/ عبد الجليل شلبي من ١٥٨وما بعدها. طبعة المختار الإسلامي ط الثالثة.

(٢) رمسيس الثاني – فرعون المجد الانتصار تأليف K.A K.T CHEN ترجمة أحمد زهير أمين، بتصرف.



بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة لعل في هذا ما يقنع على الأقل بني قومهم بعدم صحة القرآن الكريم، أما التعويل على ما جاء في التاريخ فإننا نقول لهم: إن التاريخ لم يثبت بطريق يقيني حتى نركن إلى ما جاء فيه على حساب كتاب كالقرآن الكريم، وعلى أي حال فالتاريخ لم يكذب ذلك، بل سكت، فالأمر محتمل، وإذن فالمثبت مقدم على النافي.

رابعًا: من المعلوم تاريخيًا أن الحكام قديمًا وحديثًا كانت لهم ألقاب قد يشتهرون بها ويُعرفون أكثر من معرفتهم بأسمائهم الحقيقية كما كان يلقب حاكم الروم في عصر من العصور «بقيصر»، وحاكم الفرس «بكسرى» وحاكم الحبشة «بالنجاشي»، وحاكم مصر «بالمقوقس»، ومن قبل «بفرعون»، وفي الدولة الإسلامية «بالخليفة»، إلى غير ذلك من الألقاب.

وبالتالي فلا مانع أن يكون «هامان» لقب لهذه الشخصية كما كان يلقب الوزير الأول في مصر في عصر قريب من هذا «العزيز» كما جاء في قصة يوسف عليه السلام فإذا لم يقر هؤلاء بأن هامان لقب وأنه كان اسمًا لزمهم أن يعترفوا بأن فرعون اسم أيضًا وليس بلقبه وهو ما لا يسلمون به بحال، فلعل هامان كان لقبًا على نائب فرعون كما نقول نحن: الرئيس ونائبه، والأمير وولي العهد وهكذا.

خامسًا: لا بأس أن نقف أيها القارئ على أقوال أهل العلم فيما يتعلق بهذا الموضوع:-

١- يقول الأستاذ الدكتور/ عبد الجليل شلبي: وقد جاء اسم هامان في أوراق بردية، «استير» شخصية خيالية ومن الجائز أن يكون العبرانيون أثناء إقامتهم في مصر نقلوا هذا الاسم كما نقوا أسماء أخرى، ومثل هذا موسى فهو موشى من مثل أح موسى (أحمس) و(نحوت موسى) تحو تمس ثم حول إلى هذا النطق ونطق العبرانيون بالشين.

ثم يقول: على أن افتراضنا أن هامان اسم مشترك لشخصين مختلفين في زمنين متباعدين، إنما هو مجاراة للفهم الذي يتبادر إلى الذهن بدون دراسة أما الدارسون المحدثون فيثبتون أن قصة استير كلها قصة موضوعة خيالية لا أصل لها، ورجحوا

والده «ياسر»وزير الجنوب وابن عم «آمن ام اينت» «هامان» مدرب الجنود الملكية الذي التحق بعد ذلك بالسلك الكهنوتي المستديم في خدمة «آمون» بطيبة.

وقال في موضع آخر: وكان من عِلية القوم من اتخذ من الخدمة العسكرية ذريعة للوثوب إلى الوظائف المدنية العليا، وقد تعرفنا من هؤلاء على .. وأمن «آم اينت» «هامان» القائد بسلاح المركبات ثم ميلشيات المدجاي بعدها عين مديرًا للمصانع وزيرًا للصناعة».

* يقول الأستاذ الدكتور/ زغلول النجار عن هذا الموضوع:

لم يرد في العهد القديم ذكر لهذا الاسم (هامان) كأحد المستشارين في أمور الدنيا لفرعون مصر في زمن نبي الله موسى عليه السلام وانطلاقا من هذا أخذ عدد من غلاة المستشرقين في التهجم على القرآن الكريم مع اعترافهم بأن العهد القديم صناعة بشرية كاملة ترجع بدايتها إلى أكثر من ٣٥٠ سنة ميلادية مضت وأنه منقول عن مخطوطات فقدت أصولها بالكامل، والمرجع الوحيد الموجود بين أيدي الكنيسة اليوم عبارة عن نصين موجزين باللغة اليونانية القديمة:

أحدها: ينسب إلى شبه جزيرة سيناء «النص السينوي» والأخر ينسب إلى الفاتيكان «النص الفاتيكاني» كلاهما يرجع إلى سنة ٣٥٠م.

وهناك نصوص متفرقة جاءت بعد ذلك لا تعرف هوية كاتبيها، ولا يعرف نص كامل باللغة العربية للعهد القديم إلا ذلك الذي تمت صياغته في القرن العاشر الميلادي أي بعد وفاة موسى عليه السلام بأكثر من ألفي سنة وقد ادعى المهاجمون للقرآن بأن الاسم «هامان» لم يذكره أي من مؤرخي الحضارة اليونانية القديمة، ولم يرد في أي نص تاريخي قديم عن مصرنا الحبيبة، وإن ذكروا وروده في أحد أسفار العهد القديم الذي يعرف باسم سفر «استير» ESTHER وجاء في هذا السفر أن لملك بابل «احشويرش» أو XERXIES استورز رجلاً باسم (هامان) وأن الوزير كان يبغض اليهود الذين سبق وأن أسرهم «ينوخذ نصر» ملك بابل السابق لكن إحدى محظيات الملك كانت يهودية باسم «استير» استخدمت فتنة الملك بها في الإيقاع بهذا الوزير حتى



تم إعدامه شنقًا.

وانطلاقا من غلاة المستشرقين إلى الإدعاء الباطل بأن هامان لم يكن في مصر على عهد فرعون موسى ولكنه كان في بابل على عهد الملك «احشويرش» أو XERXIES وبعد حوالي ألفي سنة من وفاة نبي الله موسى عليه السلام علمًا بأنه لا يوجد ما يمنع من تكرار أسماء الأشخاص في عهود مختلفة، مع تسليمنا بأن قصة استير هي قصة مختلقة في التراث اليهودي الذي أراد أن يعظم من دور بنات الهوى الساقطات عندهم، انطلاقا من عقيدة تميز العرق اليهودي ولا يوجد أي سند تاريخي لها على الإطلاق.

قال: ثم جاء الطبيب الفرنسي( موريس بوكاي) ليوضح الأمر لبني جلدته في كتابه المعنون موسي وفرعون وفيه ما ترجمته: لقد قمت بكتابة الاسم( هامان) باللغة الهيروغليفية وعرضته علي أحد المختصين في تاريخ مصر القديمة. ولكيلا أدعه تحت أي تأثير لم أذكر له أنها وردت في القرآن بل قلت له إنها وردت في وثيقة عربية قديمة يرجع تاريخها إلي القرن السابع الميلادي. فقال لي المختص: يستحيل أن ترد هذه الكلمة في أي وثيقة عربية في القرن السابع لأن رموز الكتابة باللغة الهيروغليفية لم تكن قد حلت آنذاك. ويضيف الدكتور بوكاي قوله: ولكي أتحقق من هذا الأمر أوصاني بمراجعة قاموس يحمل العنوان التالي: قاموس أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة لمؤلفه( اللامند رانك). نظرت إلي القاموس فوجدت أن هذا الاسم موجود فعلا ومكتوب باللغتين الهيروغليفية والألمانية. كذلك كانت هناك ترجمة لصاحب هذا الاسم بأنه رئيس عمال مقالع الحجر. وكان هذا الاسم أو اللقب يطلق آنذاك علي الرئيس الذي يتولي إدارة المشاريع الإنشائية الكبيرة. استنسخت هذه الصفحة من ذلك القاموس وذهبت إلي المختص الذي أوصاني بقراءته ثم فتحت ترجمة القرآن بالألمانية وأريته اسم «هامان» فيه فاندهش ولم يستطع أن يقول شيئًا. ويضيف الدكتور موريس بوكاي قوله:

لو جاء ذكر اسم( هامان فرعون) في أي كتاب قبل القرآن أو لو جاء ذكره في

العهد القديم لكان المعترضون علي حق ولكن لما لم يرد هذا الاسم حتي نزول القرآن في أي نص آخر وإن كان قد اكتشف بعد ذلك بقرون عديدة علي الأحجار الأثرية لمصر القديمة وبالخط الهيروغليفي. فإن ورود هذا الاسم في القرآن بهذا الشكل المذهل لا يمكن تفسيره إلا بأنه معجزة وليس ثمة أي تعليل آخر. أجل إن القرآن هو أعظم معجزة. ويضيف هذا العالم الفرنسي الجليل( بوكاي) قوله:

وكما سبق القول بأنه ما من مؤرخ أو كاتب أشار إلي شخص اسمه( هامان) كان مقربا من فرعون مصر في عهد موسي ــ عليه السلام ــ ولم يكن أحد من الناس يعلم شيئا من تاريخ مصر القديم لأن العلماء كانوا عاجزين عن قراءة الكتابات المصرية القديمة المكتوبة بالهيروغليفية وكانت هذه اللغة قد اندثرت تدريجيا في مصر حتي انمحت تماما. وكان آخر نص مكتوب بهذه اللغة قد سجل في عام٣٩٤ م ولم يعد أحد يتكلم باللغة الهيروغليفية أو يعرف قراءتها. واستمر هذا الوضع حتي عام١٨٢٢ م عندما استطاع العالم الفرنسي فراجيان فرانسوا شامبليون فك رموز تلك اللغة باكتشاف نص مكتوب بها علي حجر رشيد (TheRosettaStone) مع ترجمة له إلي كل من اللغتين اليونانية القديمة والديموطيقية. وقد تم اكتشاف هذا الحجر من قبل ضابط فرنسي عام ١٧٩٩م في أثناء الحملة الفرنسية علي مصر في قرية رشيد بمحافظة البحيرة. ووجد عليه نص يمجد فرعون مصر ويدون انتصاره وكان هذا النص مكتوبا بثلاث لغات هي: اللغة الهيروغليفية واللغة الديموطيقية (وهي اللغة العامية المصرية القديمة) واللغة الإغريقية. وكان تاريخ الكتابة يعود إلي عام ١٩٦ ق.م. وقد ساعد وجود هذه اللغات الثلاث علي فك رموز اللغة اليهروغليفية فقد قام شامبليون بمضاهاة هذا النص بالنص الإغريقي وبنصوص هيروغليفية أخري حتي نجح في فك رموز اللغة الهيروغليفية وذلك لأن النص اليوناني كان عبارة عن أربعة وخمسين سطرا وكان سهل القراءة. وهذا يدل علي أن هذه اللغات الثلاث كانت سائدة إبان حكم البطالسة الإغريق لمصر. وبعد حل رموز الكتابة اليهروغليفية علمنا من الكتابات الموجودة علي عدد من الأحجار الأثرية العائدة للتاريخ المصري القديم وجود شخص



مقرب من فرعون مصر في عهد موسي ــ عليه السلام ــ كان مسئولاً عن البناء اسمه«هامان». وهناك حجر من هذه الأحجار المصرية القديمة ورد فيه هذا الاسم موجود في متحف «هوف» في «فينا» عاصمة النمسا.

هذه شهادة عالم غربي محايد يشهد بأن القرآن الكريم هو أعظم معجزة في تاريخ البشرية كلها انطلاقا من كلمة حق واحدة اتضحت له وهي اسم( هامان) مهندس بناء فرعون في عهد نبي الله موسي ــ عليه السلام ــ فالحمد لله علي نعمة الإسلام والحمد لله علي نعمة القرآن والحمد لله علي بعثة خير الأنام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[1].

وبعد فقد قرئت هذه الآيات على اليهود والنصارى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكروا ذلك على القرآن الكريم ولعل النص المذكور فيه هذا الاسم مما أصابه التحريف، فالله أعلم بحقيقة الحال.

* * *

## الشبهة الخامسة

**ومن شبههم أيضا على هذا الموقع المشبوه ما جاء تحت عنوان: «تناقضات وأخطاء قرآنية».**

**س: أي طوفان؟ هل كان هناك طوفانان واحد لنوح والآخر لموسى؟ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].**

**والجواب: أولاً: يطلق الطوفان في لغة العرب[2] ويراد به: المطر الشديد، وقد يطلق ويراد به: الموت، ويراد به ما كان مهلكًا من نسل أو موت على معنى أن الطوفان ما يطيف بالشيء، أي يحيط به فيهلكه.**

---

(١) موقع الدكتور زغلول النجار صفحة ٦-٧، وانظر كتاب القرآن والعلم المعاصر للدكتور موريس.

(٢) لسان العرب ٩/٢٢٥، بتصرف، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى.

- إذا كان الأمر كذلك فما المانع من أن يقع في الوجود أكثر من طوفان في عصور عدة، وأماكن مختلفة، لوجود داعيه، كأن يعاقب الله به أممًا عدة في أزمنة وأمكنة مختلفة، اللهم إلا أن تكون عقول القوم لا تستوعب هذا ولا تصدقه لحاجة في أنفسهم، وصدق الله إذ يقول: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ثانيًا: هذا الكلام من هؤلاء القوم يدل على شدة تخبطهم، وعظم حيرتهم، فأصبحوا كمن يهرف بما لا يعرف، أو كمن فقد وعيه، وطاش صوابه، لدرجة أنهم ينكرون على القرآن أمورًا ثبتت في كتابهم التوراة، وإلى يومنا هذا أفترى هؤلاء ينكرون مجيئها في التوراة بنفس القدر الذي ينكرون به ورودها في القرآن الكريم. فقد جاء في سفر الخروج من التوراة: أن الله أمر موسى أن يقول لفرعون: أنت معاند بعد لشعبي حتى لا تطلقه، ها أنا غدا مثل الآن امطر بردا عظيما جدا لم يكن مثله في أرض مصر منذ يوم تأسيسها إلى الآن فالآن أرسل أحم مواشيك وكل مالك في الحقل، جميع الناس والبهائم الذين يوجدون في الحقل ولا يجمعون إلى البيوت ينزل عليهم البرد فيموتون، فالذي خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومواشيه إلى البيوت، وأما الذي لم يوجه قلبه إلى كلمة الرب فترك عبيده ومواشيه في الحقل.

ثم قال الرب لموسى: مد يدك نحو السماء ليكون في كل أرض مصر على الناس وعلى البهائم، وعلى كل عشب الحقل في أرض مصر، فمد موسى عصاه نحو السماء فأعطى الرب رعودا وبردا وجرت نار على الأرض، وأمطر الرب بردا على أرض مصر، فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد، شيء عظيم جدا لم يكن مثله في أرض مصر منذ صارت أمة، فضرب البرد جميع ما في الحقل من الناس والبهائم، وضرب البرد جميع عشب الحقل، وكسر جميع شجر النخل إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد، فأرسل فرعون ودعا بموسى وهارون وقال لهما: أخطأت هذه المرة، الرب هو البار وأنا وشعبي الأشرار صليا إلى الرب وكفى حدوث



رعود الله والبرد فأطلقكم ولا تعودوا تلبثون[1].

إذا ما قارنت بين هذا النص وما جاء في القرآن في الشأن لا تجد مبررا لإنكار القوم لحدوث الطوفان في هذا العهد قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٣-١٣٤].

ثالثًا: نكرر كم تليت هذه الآيات على أساطين أهل الكتاب فلم ينكروا حدوث الطوفان، ولكن هؤلاء الأقزام يوردون هذا التساؤل على هذا النحو وكأنهم لا يعرفون أن التوراة ذكرته في عهد موسى عليه السلام، إذا تبين هذا فهل ينكرون حدوثه في عهد موسى عليه السلام في التوراة أيضًا كما ينكرونه على القرآن؟

* * *

## الشبهة السادسة

**ومن شبههم أيضًا على هذا الموقع:**

**س: خلق الله أولاً الأرض جميعًا؟ أم السماء؟ أم العكس؟**

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وهنا نرى أن الله خلق ما في الأرض جميعًا، وكلمة جميعا تعني أن الله خلق الأشجار والبحار والأنهار والجبال أي كل شيء في الأرض ثم استوى إلى السماء وسواها.

ولكنه يقول: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣]

(١) الخروج، الإصحاح التاسع ص ١٠٠-١٠١، طبعة دار الكتب المقدسة في الشرق الأوسط بدون تاريخ ورقم الطبعة.

ومن الآيات هنا نعرف: أن الله سَوَّى السماء أولاً وأصبح هناك ليل وضحى ثم بعد ذلك دحا الأرض، وخلق الماء والمرعى من الأرض، وأرسى الجبال وهذا يناقض آية (٢٩) من سورة البقرة، والتي تقول: إن الله هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا، أي: بما فيها من ماء ومرعى وجبال قبل خلق السماء.

* والجواب على ذلك: ما ذكره العلامة الرازي في تفسيره حيث قال: ذكر العلماء في الجواب عنه وجوهًا:

أحدها : يجوز أن يكون خلق الأرض قبل خلق السماء إلا أنه ما دحاها حتى خلق السماء لأن التدحية هي البسط ولقائل أن يقول هذا أمر مشكل من وجهين : الأول : أن الأرض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية وإذا كانت التدحية متأخرة عن خلق السماء كان خلقها أيضاً لا محالة متأخراً عن خلق السماء.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأرض جَمِيعاً ثُمَّ استوى إِلَى السماء﴾ يدل على أن خلق الأرض وخلق كل ما فيها متقدم على خلق السماء لكن خلق الأشياء في الأرض لا يمكن إلا إذا كانت مدحوة فهذه الآية تقتضي تقدم كونها مدحوة قبل خلق السماء وحينئذٍ يتحقق التناقض.

والجواب: أن قوله تعالى: ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ يقتضي تقديم خلق السماء على الأرض ولا يقتضي أن تكون تسوية السماء مقدمة على خلق الأرض، وعلى هذا التقدير يزول التناقض، ولقائل أن يقول: قوله تعالى: ﴿أَأَنتم أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السماء بناها رَفَعَ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ يقتضي أن يكون خلق السماء وتسويتها مقدم على تدحية الأرض ولكن تدحية الأرض ملازمة لخلق ذات الأرض فإن ذات السماء وتسويتها متقدمة على ذات الأرض وحينئذٍ يعود السؤال.

وثالثها: وهو الجواب الصحيح أن قوله: «ثم» ليس للترتيب ههنا وإنما هو على جهة تعديد النعم ، مثاله قول الرجل لغيره: أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك، ولعل بعض ما أخره في الذكر قد تقدم فكذا ههنا والله أعلم[1].

(١) مفاتيح الغيب ٢/١٥٥- ١٥٦، طبعة المكتبة التوفيقية بدون تاريخ ورقم الطبعة.



أقول: سواء أقلنا بهذا أم قلنا إن تعبير سورة النازعات يقول فيها ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ، حيث قال: (دحاها)، ولم يقل خلقها، وعليه فيكون خلق الأرض متقدم على خلق السموات، وأما دحوا الأرض فكان بعد ذلك.

* * *

## الشبهة السابعة

**ومن شبههم أيضا التي جاءت على هذا الموقع:**

**س: كيف لا يقسم الله بنفسه؟ وهل هو يقسم بنفسه، أو بما قد نبصره من قانورات، أو نجاسات مثلاً؟ وكيف يعلمنا أن نقسم بما لا نبصره؟**

**- ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِمَّا يَعْلَمُونَ فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: ٣٩-٤٠]**

**- ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨- ٣٩].**

والمعنى: أقسم بالأشياء كلها ما ترون وما لا ترون ، ثم يقسم الله بالبقر؟ قال عبد الله: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ قال: بقر الوحش[1].

والجواب: ذكر العلماء في الجواب عن هذا السؤال أجوبة أوردها الزركشي في البرهان حيث قال: فيه ثلاثة أجوبة:

أحدها أنه على حذف مضاف أي ورب الفجر ورب التين وكذلك الباقي.

والثاني أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.

الثالث أن الأقسام إنما تجب بأن يقسم الرجل بما يعظمه أو بمن يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدل على بارئ وصانع[2].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٣٣٧، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

(٢) البرهان في علوم القرآن- للزركشي ٣/٤٢، طبعة دار المعرفة- بيروت، ١٣٩١هـ.

وقال ابن أبي الأصبع في «أسرار الفواتح»: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل[١].

وبمثل ما قال الزركشي قال ابن حجر في «الفتح»:

أن ذلك كان قبل النهي، أو بأنها كلمة جارية على اللسان لا يقصد بها الحلف ، كما جرى على لسانهم عقري[٢]، حلقي وما أشبه ذلك ، أو فيه إضمار اسم الرب كأنه قال: ورب أبيه، وقيل: هو خاص ويحتاج إلى دليل[٣].

**قلت:** القول بأن القسم على حذف مضاف عدول عن الظاهر،وهذا لا يكون إلا بدليل؛ لأن ما منع من العباد لا يلزم أن يكون ممنوعا صدوره عن الله، إذ المانع في حق العباد أن في القسم بغير الله تعظيما لذلك الغير، والعباد يجب ألا يشركوا مع الله أحدًا في التعظيم، وهذا المعنى غير مدرك في جانب الله تعالى.

فهو إذ يعظم فإنما يعظم أشياء دانت له بالربوبية، ولا يمكن في العقل أن تتعاظم على من هي في قبضة يده، وبسطة سلطانه، وهو يعرف الناس بعظمتها، فإنما يرشدهم إلى عظمة خالقها، وهو إذ يقسم بها فإنما يقسم بها، لأن لها شأنًا بديعًا، ومنفعة عند العبد يدركها، أو ينتقل من إدراك إتقان صنعها إلى أنه لابد أن تكون صادرة عن المدبر الحكيم اللطيف الخبير، ثم هي فوق ذلك نعمة من نعمه على عباده، والحلف بها تذكير بالنعمة لتقابل بالشكر.

ولو كان الأمر كما قالوا على تقدير مضاف لكان القسم مكررا في مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٥-٧].

إذ يصير المعنى: وباني السماء وبانيها، وطاحي الأرض وما طحاها، ونفس وما سواها، ومثل هذا ينزه عن القرآن الكريم[٤].

---

(١) الإتقان للسيوطي ١٣٤/٢.

(٢) بوزن غضبى، يقال للمرأة إذا كانت مؤذية مشئومة، أي: عقرها الله وخلقها الله خلقا.

(٣) الفتح ج١/١٣٢-١٣٣، الطبعة السلفية الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٤) تفسير آيات الأحكام للسايس بتصرف ٣٠٠/٤، طبعة مؤسسة المختار الأولى ٢٠٠١م.



- وأما القول بأن ذلك قبل النهي فلا دليل عليه وعلى أي حال فإن النسخ لا يصار إليه إلا عند تعارض الأدلة المتساوية تعارضا تاما بحيث لا يمكن التوفيق بينها بحال، ويعلم المتقدم من المتأخر، فعندئذ يحكم على المتقدم بأنه منسوخ بالمتأخر والتوفيق هنا ممكن كما سيعلم قريبًا إن شاء الله.

- وأما القول بأن ذلك جريا على عادة العرب فلا يقصد به القسم، فذلك مدفوع بأن الله تعالى قال: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، ثم عقب على ذلك بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦].

وإذن فالراجح أن يقال: أن لله تعالى أن يقسم بما شاء وأما نحن فلا يجوز لنا أن نقسم إلا به سبحانه جميعا بين النصوص التي تنهى عن ذلك، وما جاء في القرآن الكريم.

فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[١].

وأخرج عن ابن عمر أيضًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «لا تحلفوا بآبائكم»[٢].

وغير ذلك من الأحاديث، وما ورد من القسم في القرآن ببعض من مخلوقات الله كالطور والنجم والذاريات والشمس، والضحى والعصر..الخ.

وإنما أقسم الله سبحانه وتعالى بهذه المخلوقات ليلفت نظرنا إلى شرفها، ومكانتها، وما حوت من إبداع وإتقان ليكون ذلك دليلاً على عظمة خالقها.

**وأما قولهم:** وهل يقسم الله بنفسه؟ أو بما قد نبصره من قاذورات أو نجاسات؟ وكيف يعلمنا بأن نقسم بما لا نبصره؟

*** فالجواب عن النقطة الأولى:** فهو سبحانه يقسم بنفسه؛ لأنه لما كان الغرض من

---

(١) البخاري (٦٢٧٠)، كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم.

(٢) البخاري (٦٢٧٢)، كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم.

القسم تعظيم المقسم به، فقد أقسم سبحانه بنفسه؛ لأنه لا أعظم منه سبحانه وتعالى، ثم إنه سبحانه وتعالى ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

* **وأما بالنسبة للإجابة عن النقطتين الأخيرتين، فأقول:** إن الله عز وجل يقسم بما نرى ومالا نرى إشارة إلى سعة خلقه جل شأنه، والمقصود من هذه الأشياء ما من شأنه أن يقسم به من الأمور العظيمة.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: جمع الله في هذا القَسَم كل ما الشأن أن يُقسَم به من الأمور العظيمة من صفات الله تعالى ومن مخلوقاته الدالة على عظيم قدرته إذ يجمع ذلك كله الصلتان ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾، فمما يبصرون : الأرض والجبال والبحار والنفوس البشرية والسماوات والكواكب ، وما لا يبصرون : الأرواح والملائكة وأمور الآخرة[1].

**قلت:** أيًا ما كان الأمر فإن القسم إنما يكون بالأمور العظيمة التي لها وقع على نفس من يقسم له به، دفعا له إلى تصديق ما أقسم له من أجله، أو العمل بموجبه، لذلك نهينا عن القسم بغيره سبحانه وتعالى.

أما القاذورات والنجاسات فمعلوم عقلا وعرفا خروجها عن القسم بها؛ إذ لا قيمة لها عند القسم بها لدى المخاطب.

سلمنا أن القسم في قوله: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾، يشمل ما ذكروا من النجاسات والقاذورات، لكن هذه الأشياء على حالها هذا غالبا تكون نتيجة لتحلل شيء ما، أو محولة عن شيء آخر، وفي هذا ما فيه من الدلالة على قدرة العلي العظيم، بمعنى أن القادر على تحويل هذه المواد إلى ما ترون قادر على إعادة من في القبور، فالطعام مثلا يتحول إلى ما هو معلوم رغم أن الأطعمة مختلفة الألوان والأشكال والمذاق لكنها تخرج على هيئة واحدة بحيث لا يستطاع التميز بين طعام وآخر، أليس القادر على ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟!!

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ١٤١.



## الشبهة الثامنة

**س: هل كان إسماعيل رسولاً نبيًا؟ ولمن أرسل؟ لليهود؟ للعرب؟ أم للمصريين؟**

- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]. للعرب طبعا إذا هناك تناقض؛ لأن الآيات التالية تقرر عدم إرسال أنبياء للعرب قبل محمد:

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾. [السجدة: ٣].

- ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤].

- ابن كثير أي: لم يقرؤوا في كتاب أوتوه بطلان ما جئت به ولا سمعوه من رسول بعث إليهم.

- ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١].

- ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس:٦].

- ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦].

**بالإضافة إلى:**

- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

**والجواب:**

نقول: لقد كان إسماعيل عليه السلام رسولا نبياء نص على ذلك القرآن الكريم كما جاء في آية سورة مريم: ٥٤، والتي جاءت في شبهة هؤلاء.

أما لمن أرسل عليه السلام، نقول: أرسل إلى أهل بيته، وفي هذا الوقت لم يكن

لقريش ولا للعرب وجود ذلك؛ لأن عدنان والذي تنسب إليه قريش كان بينه وبين نبي الله إسماعيل عدة قرون.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: والقوم : يعني في قوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا﴾ قريش والعرب ، فهم المخاطبون ابتداءً بالدين وكلهم لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وأما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فكانا نذيرين حين لم تكن قبيلة قريش موجودة يومئذ ولا قبائل العرب العدنانية ، وأما القحطانية فلم يرسل إليهم إبراهيم لأن اشتقاق نسب قريش كان من عدنان وعدنان بينه وبين إسماعيل قرون كثيرة .

وإنما اقتصر على قريش أو على العرب دون سائر الأمم التي بعث إليها النبي صلى الله عليه وسلم لأن المنة عليهم أوفى إذ لم تسبق لهم شريعة من قبل فكان نظامهم مختلاً غير مشوب بإثارة من شريعة معصومة(١).

قلت: وهذا على اعتبار أن (ما ) في قوله: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾، للنفي الذي يشمل آباؤهم مطلقا، ويمكن القول بأن إسماعيل عليه السلام كان رسولا إلى العرب على أن يكون المراد من الآباء في الآيات الكريمة: الأقربين فقط، أي: لعهده صلى الله عليه وسلم .

ويمكن أن تكون (ما) اسمًا موصولاً، ويكون المعنى: لتنذر قومًا مثل ما أنذر آباؤهم.

قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسير الآية السادسة من سورة «يس»:

قوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ (ما) لا موضع لها من الإعراب عند أكثر أهل التفسير منهم قتادة، لأنها نفي والمعنى: لتنذر قوما ما أتى آباءهم قبلك نذير.

وقيل: هي بمعنى الذي فالمعنى: لتنذرهم مثل ما أنذر آباؤهم، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة أيضا.

وقيل: إن (ما) والفعل مصدر، أي لتنذر قومًا إنذار آبائهم.

(١) التحرير والتنوير ٢٠/ ١٣٤.



ثم يجوز أن تكون العرب قد بلغتهم بالتواتر أخبار الأنبياء، فالمعنى لم ينذروا برسول من أنفسهم.

ويجوز أن يكون بلغهم الخبر ولكن غفلوا وأعرضوا ونسوا.

ويجوز أن يكون هذا خطابًا لقوم لم يبلغهم خبر نبي، وقد قال الله: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، وقال: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣]، أي: لم يأتهم نبي.

وعلى قول من قال بلغهم خبر الأنبياء، فالمعنى فهم معرضون الآن متغافلون عن ذلك ويقال للمعرض عن الشيء أنه غافل عنه.

وقيل: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عن عقابه تعالى(١).

قلت: على أية حال فقد قرئت هذه الآيات على مسامع العرب، وعلى مسامع أهل الكتاب من اليهود والنصارى المعاصرين له عليه الصلاة والسلام، والمعاصرين لأصحابه وتابعيهم من بعد وعندهم من العلم ما ليس عند هؤلاء بالتوراة والإنجيل، فلو كان في ذلك خلاف لكان هؤلاء أول من اعترض على رسول الله ﷺ.

ومعلوم مدى عداوتهم وبغضهم له صلوات الله وسلامه عليه ولدعوته، فلما لم يكن شيء من ذلك، دل هذا على سلامة النص القرآني من دعاوى هؤلاء الزائفة، وكان الأولى بهم لو أنهم يبحثون عن الحق والإنصاف أن ينتبهوا إلى هذا، ويجعلوه في حسبانهم قبل أن يرددوا مثل هذه الحماقات، ثم كان عليهم أيضا أن يرجعوا إلى ما سطر علماؤنا رحمة الله عليهم من خلال ما كتبوا حول ما جاء بخصوص ما قال هؤلاء فقد ذكروه من قبلهم وأجابوا عليه بما لا يدع لمنصف أدنى مجال لريب أو شك، لكن ما ذا نقول لأناس عميت بصائرهم، وختم على قلوبهم فجعلوا من أنفسهم جنودا للفتن والريب مهما كان وضوح الحق وقوته، وصدق الله إذ يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٧.

## الشبهة التاسعة

**- ومن شبههم أيضًا:- ما علاقة القسط باليتامى بنكاح النساء؟**

**- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].**

- تعلق أبو حنيفة بهذه الآية في تجويز نكاح اليتيمة قبل البلوغ، فقال: إنما تكون يتيمة قبل البلوغ، وبعد البلوغ هي امرأة مطلقة لا يتيمة، بدليل أنه لو أراد البالغة لما نهى عن حطها عن صداق مثلها، لأنها تختار ذلك فيجوز إجماعًا. القرطبي.

**والجواب:**

**أقول:** الأمر بنكاح النساء مثنى وثلاث ورباع في جواب شرط الخوف من عدم العدل في اليتامى، قد يخفى على بعض أهل العلم سيما إذا خفي عليهم سبب نزول الآية الكريمة، أو لم يرجعوا إلى أقوال أهل العلم في المسألة، وذلك لأنه قد لا تظهر لهم مناسبة بينة، أو ملازمة بين الشرط وجوابه، فكيف بمن لا صلة له أصلاً بكتاب الله تعالى، فضلاً عمن لم يسلم، وأضاف إلى ذلك شيئًا من الحقد والضغينة للإسلام حملهم على بث سمومهم وحقدهم بدافع التشويش على من أسلم، ومنع من لم يسلم من الدخول فيه، وقبل أن نجيب على ما جاء في شبهة القوم نحب أولاً أن نذكر سبب نزول الآية الكريمة:

أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾، فقالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١٢٧]، قالت عائشة:



وقول الله تعالى في آية أخرى ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء: ١٢٧] رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال قالت فنهوا - أن ينكحوا - عمن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال(١).

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: واعلم أنّ بين عدم القسط في يتامى النساء، وبين الأمر بنكاح النساء ، ارتباطاً لا محالة وإلاّ لكان الشرط عبثًا.

ولذلك أخرجه البخاري في باب: تفسير سورة النساء بسياق الأحاديث المرفوعة اعتدادًا بأنها ما قالت ذلك إلاّ عن معاينة حال النزول، وأفهام المسلمين التي أقرّها الرسول عليه السلام ، لا سيما وقد قالت: ثمّ إنّ الناس استفتوا رسول الله، وعليه فيكون إيجاز لفظ الآية اعتداداً بما فهمه الناس ممّا يعلمون من أحوالهم، وتكون قد جمعت إلى حكم حفظ حقوق اليتامى في أموالهم الموروثة حفظ حقوقهم في الأموال التي يستحقّها البنات اليتامى من مهور أمثالهنّ، وموعظة الرجال بأنّهم لمّا لم يجعلوا أواصر القرابة شافعة النساء اللاتي لا مرغّب فيهنّ لهم فيرغبون عن نكاحهنّ، فكذلك لا يجعلون القرابة سبباً للإجحاف بهنّ في مهورهنّ، وقولها: ثمّ إنّ الناس استفتوا رسول الله، معناه استفتوه طلبًا لإيضاح هذه الآية، أو استفتوه في حكم نكاح اليتامى، ولم يهتدوا إلى أخذه من هذه الآية، فنزل قوله : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ الآية، وأنّ الإشارة بقوله: ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ أي: ما يتلى من هذه الآية الأولى ، أي كان هذا الاستفتاء في زمن نزول هذه السورة.

قال الشيخ ابن عاشور معقبًا: وكلامها هذا أحسن تفسير لهذه الآية(٢).

وقد ذكر الإمام الرازي في بيان ذلك وجوهًا أخرى فقال بعد ذكر الوجه السابق:

الوجه الثاني: في تأويل الآية: أنه لما نزلت الآية المتقدمة في اليتامى وما في أكل

---

(١) صحيح البخاري (٤٢٩٨)، كتاب: التفسير، باب: سورة النساء.

(٢) التحرير والتنوير بتصرف يسير ٤/ ٢٢٢، ٢٢٣.

أموالهم من الحوب الكبير ، خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى ، فتحرجوا من ولايتهم ، وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج وأكثر ، فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن ، فقيل لهم : إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها ، فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء ، فقللوا[1] عدد المنكوحات ، لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب لمثله فكأنه غير متحرج .

الوجه الثالث: في التأويل: أنهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل: إن خفتم الجور في حق اليتامى فكونوا خائفين من الزنا ، فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات.

الوجه الرابع: في التأويل: ما روي عن عكرمة أنه قال : كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الأيتام ، فإذا أنفق مال نفسه على النسوة ولم يبق له مال وصار محتاجا ، أخذ في إنفاق أموال اليتامى عليهن فقال تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ عند كثرة الزوجات فقد حظرت عليكم أن لا تنكحوا أكثر من أربع كي يزول هذا الخوف ، فان خفتم في الأربع أيضاً فواحدة ، فذكر الطرف الزائد وهو الأربع ، والناقص وهو الواحدة ، ونبه بذلك على ما بينهما ، فكأنه تعالى قال : فان خفتم من الأربع فثلاث ، فان خفتم فاثنتان ، فان خفتم فواحدة ، وهذا القول أقرب ، فكأنه تعالى خوف من الإكثار من النكاح بما عساه يقع من الولي من التعدي في مال اليتيم للحاجة إلى الإنفاق الكثير عند التزوج بالعدد الكثير[2] .

**قلت:** وبهذا ظهر وجه الارتباط بين الأمر بنكاح النساء مثنى وثلاث ورباع في جواب شرط الخوف من عدم العدل في اليتامى، وإذن فلا إشكال على أنه إذ لم يتضح وجه الارتباط لإنصاف المتعلمين في مثل هذا المقام فالسبب في ذلك لا يرجع قطعًا إلى

(١) في الأصل: فقالوا، ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) مفاتيح الغيب ١٤٧/٩، المكتبة التوفيقية بدون تاريخ ورقم الطبعة.



النظم الكريم، وإنما لأمر آخر يرجع إلى القارئ أو الباحث فما عليه إلا أن يذهب إلى أهل العلم المتخصصين، أو يرجع إلى ما سطر أهل العلم في كتبهم، فلعله يجد لما عنده من إشكال جوابًا، وإلا فليؤمن بأن هذا الكتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ، والله الموفق.

* * *

## الشبهة العاشرة

**- ومن شبههم أيضًا: ما جاء تحت عنوان: العجل الذهبي من صنع السامري؟**

- جاء في سورة طه آية ٨٥- ٨٨: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾.

قالوا: ونحن نسأل: مدينة السامرة لم يكن لها وجود زمن موسى، وإنما هي بنيت في عهد يربعام الذي أتى بعد سليمان الملك الذي حدث أنه عندما خرج بنو إسرائيل من مصر وسافروا في سيناء، أن صنع لهم هارون عجلا ذهبيا لطلبهم بعد أن تأخر عنهم نبيهم موسى فوق جبل طور سيناء، فكيف يتخيل أن سامريا يصنع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود؟ ثم كيف يخور العجل؟

**والجواب:**

أن القرآن الكريم ذكر أن الذي صنع العجل لبني إسرائيل هو السامري وهذا من وجهة نظر هؤلاء القوم خطأ تاريخي إعتمادًا منهم على أن كلمة السامري نسبة إلى مدينة السامرة، ومدينة السامرة ما بنيت إلا بعد موسى عليه السلام بمئات السنين، وأيضًا فاسم سامر لم يكن معروفا في ذلك الوقت، وإذا كنا بهذا الكلام نخاطب أناسا ليسوا مسلمين لا يرغبون في تصديق ما جاء في القرآن الكريم لحقد في صدورهم أعماهم عن رؤية الحق، فإنا نقول لهم: إن هذا الاسم (السامري) كان من الأسماء

المعروفة قديمًا، ولا يشترط أن يكون بنفس هذا اللفظ تماما، وإنما دخله ما يدخل الأسماء عند نقلها من لغة إلى لغة أخرى.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: و ﴿السَّامِرِيُّ﴾ يظهر أن ياءه ياء نسبة ، وأن تعريفه باللاّم للعهد . فأما النسبة فأصلها في الكلام العربي أن تكون إلى القبائل والعشائر؛ فالساميريّ نسب إلى اسم أبي قبيلة من بني إسرائيل أو غيرهم يقارب اسمه لفظ سَامِر ، وقد كان من الأسماء القديمة ( شُومر ) و ( شامر ) وهما يقاربان اسم سامر لا سيما مع التعريب . وفي «أنوار التنزيل» : «الساميريّ نسبة إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها : السامرة» اهـ.

أخذنا من كلام البيضاوي أن الساميريّ منسوب إلى قبيلة وأما قوله «من بني إسرائيل» فليس بصحيح؛ لأنّ السامرة أمّة من سكان فلسطين في جهة نَابلس في عهد الدولة الروميّة ( البيزنطية ) وكانوا في فلسطين قبل مصير فلسطين بيد بني إسرائيل ثمّ امتزجوا بالإسرائيليين واتبعوا شريعة موسى عليه السلام مع تخالف في طريقتهم عن طريقة اليهود . فليس هو منسوباً إلى مدينة السامرة القريبة من نابلس لأنّ مدينة السامرة بناها الملك ( عَمْري ) ملك مملكة إسرائيل سنة ٩٢٥ قبل المسيح. وجعلها قصبة مملكته، وسماها ( شومِيرون ) لأنّه بناها على جبل اشتراه من رجل اسمه ( شَامر ) بوَزْنتَين من الفضة ، فعُرّبت في العربية إلى سامرة ، وكان اليهود يَعُدونها مدينة كفر وجور؛ لأنّ (عمري ) بانيها وابنه ( آخاب ) قد أفسدا ديانة التّوراة وعبدا الأصنام الكنعانية . وأمر الله النبي إلياس بتوبيخهما والتثوير عليهما ، فلا جرم لم تكن موجودة زمن موسى ولا كانت ناحيتها من أرض بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام، ويحتمل أن يكون الساميريّ نسباً إلى قرية اسمها السامرة من قرى مصر ، كما قال بعض أهل التفسير ، فيكون فتى قبطياً اندس في بني إسرائيل لتعلّقه بهم في مصر أو لصناعة يصنعها لهم . وعن سعيد بن جبير : كان الساميريّ من أهل ( كرمان ) ، وهذا يقرّب أن يكون الساميريّ تعريبَ كرماني بتبديل بعض الحروف وذلك كثير في التعريب، ويجوز أن تكون الياء من الساميريّ غير ياء نسب بل حرفاً من اسمه مثل :



ياء عليّ وكرسيّ ، فيكون اسماً أصلياً أو منقولاً في العبرانية ، وتكون اللاّم في أوّله زائدة[1].

قلت: ويمكن أن يكون هذا اللفظ لقب ويطلق على المضل، فقد جاء في يوحنا ٨/ ٤٨: أن اليهود قالوا للسيد المسيح: "إنك سامري وبك شيطان".

وعلى أي حال فمن المؤكد أن هذه الآيات قد تليت على كثير من اليهود من أسلم ومن لم يسلم فلو لم تكن هذه الشخصية معروفة بالنسبة لهم لأنكروا ذلك، أو على الأقل طلبوا أن يفهموا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم يرد شيء من ذلك دل على تسليمهم بما جاء في القرآن الكريم فلعله مما حُرف من التوراة بعد ذلك.

- أما القول بأن الذي صنع لهم العجل هو نبي الله هارون عليه السلام اعتمادا منهم على ما جاء في التوراة في سفر الخروج فهذه سقطة كبرى، وقع فيها أولئك المحرفون للتوراة تدل على جهل القوم الفاضح بحق أنبياء الله تعالى ورسله، والذين قضى الله تعالى لهم بالعصمة وبالأخص فيما يتعلق بالعقيدة، فهم منزهون عن الصغائر فيما يتعلق بها، فكيف بالكبائر، لا سيما أعظمها وهو الشرك بالله تعالى.

فإذا كان موسى وهارون عليهما السلام قد جاءا لبيان أن المستحق للعبادة هو الله تعالى، وأن فرعون كاذب في ادعائه الألوهية، فكيف مع ذلك يصنع لهم هارون العجل ليعبدوه من دون الله، ولو كان الأمر كما قالوا لكان فرعون أولى بالعبادة من العجل!!! وما هذه السقطة إلا واحدة من سقطات عديدة وقع فيها هؤلاء فيما يتعلق بحق الله تعالى، وأنبيائه ورسله، ولعل هذه السقطة في تحريف التوراة تؤكد على تحريفهم فيما يتعلق بالسامري فالعلاقة بين صناعة العجل والسامري وبين وجود هارون عليه السلام واضحة جدًا.

- أما كيف يخور العجل فيجيب عن ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور فيقول: وعلى حمل هذه الكلمات على حقائقها يتعين صرف الرسول عن المعنى المشهور، فيتعين

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٧٩-١٨٠، طبعة المدينة المنورة بدون تاريخ ورقم الطبعة.

حمله على جبريل فإنه رسول من الله إلى الأنبياء، فقال جمهور المفسرين: المراد بالرسول جبريل، ورووا قصة قالوا: إن السامري فتنهُ الله، فأراه الله جبريل راكبًا فرسًا فوطئ حافر الفرس مكانًا فإذا هو مخضرّ بالنبات. فعلم السامري أن أثر جبريل إذا ألقي في جماد صار حيًا، فأخذ قَبضة من ذلك التراب وصنَع عجلاً وألقى القبضة عليه فصار جسدًا، أي حيًا، له خوار كخوار العجل، فعبر عن ذلك الإلقاء بالنبذ. وهذا الذي ذكروه لا يوجد في كتب الإسرائيليين ولا ورد به أثر من السنّة وإنما هي أقوال لبعض السلف ولعلها تسربت للناس من روايات القصاصين.

فإذا صُرفت هذه الكلمات الستُّ إلى معان مجازية كان ﴿بصُرت﴾ بمعنى علمتُ واهتديت، أي اهتديت إلى علم ما لم يعلموه، وهو علم صناعة التماثيل والصور الذي به صنع العجل ، وعلم الحِيل الذي أوجد به خُوار العجل ، وكانت القبضة بمعنى النصيب القليل، وكان الأثر بمعنى التعليم ، أي الشريعة ، وكان ﴿نبذت﴾ بمعنى أهملت ونقضت ، أي كنت ذا معرفة إجمالية من هدي الشريعة فانخلعت عنها بالكفر. وبذلك يصح أن يحمل لفظ الرسول على المعنى الشائع المتعارف وهو مَن أوحي إليه بشرع من الله وأُمر بتبليغه .

وكان المعنى: إني بعملي العجل للعبادة نقضت اتباع شريعة موسى. والمعنى: أنه اعترف أمام موسى بصنعِهِ العجل واعترف بأنه جَهِل فَضلّ، واعتذر بأن ذلك سوّلته له نفسه[1].

## الشبهة الحادية عشرة

**ومن شبههم أيضا: ما يتعلق بالآية الثلاثين من سورة البقرة: أعني قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، فقد أورد هؤلاء عدة أسئلة حيث قالوا:**

**١- ما الذي يدفع الله إلى أن يقول ما يدور بفكره للملائكة؟**

(١) التحرير والتنوير ٢٠٦/١٦، طبعة المدينة المنورة بدون تاريخ ورقم الطبعة.



**٢- هل يستشير الله الملائكة؟**

**٣- ما المقصود بكلمة خليفة؟**

**٤- هل يكون خليفة الله مفسدا سافكا للدماء؟**

**٥- هل تعترض الملائكة على الله؟**

**٦- هل تعلم الملائكة الغيب، وهو ما يستأثر الله به وحده؟**

**٧- كيف علمت الملائكة أن آدم سوف يكون قابلا للموت؟**

**٨- هل قرأت الملائكة فكر الله عن تكوين آدم فعلمت أن جسمه سوف يحوي دما وهو بعد لم يخلقه؟**

**٩- كيف علمت الملائكة أن آدم سوف يكون مفسدا سافكًا للدماء؟**

**١٠- من أين عرفت الملائكة بأن سفك الدماء خطأ؟**

**١١- هل يعطي الله مبررات لأعماله وتصرفاته لخليفته من الملائكة؟**

**١٢- هل يعير الملائكة الله لأنهم يسبحونه ويقدسونه فكان ذلك كرما منهم وتفضلا على الله؟**

**والجواب:**

***أولاً: بالنسبة للسؤال الأول والثاني: أعني قولهم: ما الذي يدفع الله إلى أن يقول ما يدور بفكره للملائكة؟ وهل يستشير الله الملائكة؟**

أقول: ظاهر كلام الله تعالى معهم كان على سبيل الاستشارة، ولكنها الاستشارة التي لا تعني إطلاقا أن الله لا يعلم حقيقة ما سيحدث من الإنسان، وبالتالي: يستشيرهم ليستفيد منهم علما لم يكن يعلمه، تعالى الله عن ذلك.

وإنما كالاستشارة التي تعني التكريم بالنسبة لهؤلاء الملائكة، أو أن ذلك موجه إلى الملائكة على سبيل الإخبار ليعرفهم فضل الإنسان.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: وقول الله هذا موجه إلى الملائكة على وجه الإخبار ليسوقهم إلى معرفة فضل الجنس الإنساني على وجه يزيل ما عَلِم الله أنه في نفوسهم من سوء الظن بهذا الجنس ، وليكون كالاستشارة لهم تكريماً لهم فيكونُ تعليماً في قالب تكريم مثل إلقاء المعلم فائدة للتلميذ في صورة سؤال وجواب وليَسُنَّ الاستشارة في

الأمور ، ولتنبيه الملائكة عنى ما دقَّ وخفي من حكمة خلق آدم.

ويضيف الشيخ: وعندي أن هاته الاستشارة جعلت لتكونَ حقيقةً مقارنةً في الوجود لخلق أول البشر حتى تكون ناموساً أُشْرِبَتْه نفوس ذريته لأن مقارنة شيء من الأحوال والمعاني لتكوين شيء مَّا ، تؤثر تآلفاً بين ذلك الكائن وبين المقارن(١).

ويضيف الإمام الرازي إلى ذلك وجهًا آخر فقال بعد أن أورد سؤالاً بنحو ما قالوا: والجواب من وجهين : الأول : أنه تعالى علم أنهم إذا اطلعوا على ذلك السر أوردوا عليه ذلك السؤال فكانت المصلحة تقتضي إحاطتهم بذلك الجواب فعرفهم هذه الواقعة لكي يوردوا ذلك السؤال ويسمعوا ذلك الجواب. الوجه الثاني: أنه تعالى علم عباده المشاورة.

قلت: وهذا الذي قاله أشياخنا هو الذي يتناسب مع كمال العلم الإلهي فهو الذي خلق الملائكة وخلق علمهم بقدرته فلا يعقل بعد ذلك أن يكون المخلوق بعد كل هذا أعلم من الخالق، بحيث يلجأ الخالق بعد ذلك إلى مشورتهم ليستفيد من علمهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأيضًا فما قاله أشياخنا يتوافق تماما مع كون القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، وبالتالي يستخدم الأساليب العربية في تعبيره، لتوصيل المعنى المراد إلى الخلق، فالله تعالى عندما أراد أن يخلق الإنسان أخبر الملائكة بذلك في صيغة سؤال موجه إليهم على هيئة الاستشارة تكريما لهم، وإعلاما بفضل هذا المخلوق، وأيضا: تعليما للإنسان الاستشاره في أموره ليهتدي إلى الصواب إن شاء الله تعالى.

*** وأما السؤال الثالث: ما المقصود بالخليفة؟**

فالجواب على ذلك ما ذكره العلامة الرازي حيث قال: الخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [ يونس : ١٤ ] . ﴿واذكروا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء ﴾ [ الأعراف : ٦٩ ] فأما أن المراد بالخليفة من؟ ففيه قولان : أحدهما : أنه آدم عليه السلام، وقوله: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ المراد ذريته لا هو، والثاني: أنه ولد آدم ، أما الذين قالوا المراد آدم عليه السلام فقد اختلفوا في أنه تعالى لم سماه خليفة وذكروا فيه وجهين: الأول: بأنه تعالى لما نفى الجن من

(١) التحرير والتنوير ١/٤٠٠، طبعة المدينة المنورة بدون تاريخ ورقم الطبعة.



الأرض وأسكن آدم الأرض كان آدم عليه السلام خليفة لأولئك الجن الذين تقدموه، يروى ذلك عن ابن عباس. الثاني: إنما سماه الله خليفة؛ لأنه يخلف الله في الحكم بين المكلفين من خلقه وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهذا الرأي متأكد بقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ [ ص : ٢٦ ] أما الذين قالوا المراد ولد آدم فقالوا : إنما سماهم خليفة لأنهم يخلف بعضهم بعضاً وهو قول الحسن ويؤكده قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى(١).

قلت: الخليفة إذا من يخلف غيره، أو من يتولى القيام بعمل يريده من يستخلفه، وإذا فليس المقصود بالخليفة المعنى الحقيقي؛ لأن الله تعالى لم يكن حالا في الأرض، ولا عاملا فيها العمل الذي أودعه في الإنسان وهو السلطنة على موجودات الأرض؛ ولأن الله لم يترك عملا كان يعمله، فوكله إلى الإنسان، بل التدبير الأعظم لم يزل لله تعالى فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي استطاع بما أودع الله في خلقته أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي بخلاف غيره من الحيوان، وإما أن يراد من الخليفة معناه الحقيقي إذا صح أن الأرض كانت معمورة من قبل بطائفة من المخلوقات يسمون الجن(٢).

***وأما بالنسبة للسؤال الرابع وهو: هل يكون خليفة الله مفسدًا سافكًا للدماء؟**

فالجواب عنه: ما سبق وأن قلت: أن المقصود بالخليفة: من يخلف الله في الحكم بين المكلفين بدليل قوله تعالى:﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾الآية [ص: ٢٦].

وكأن قوله: خليفة: إشارة إلى ما سيقع بين بني آدم من خصومات ونزاعات تقتضي وجود خليفة يفصل بينهم فيها، وليس المقصود ما يشير إليه هؤلاء من كونه خليفة عن الله في القيام بنفس دوره في الأرض فهذا المعنى محال لأنه كما سبق لم يكن الله حالا

(١) مفاتيح الغيب ٢/ ١٦٥ طبعة المكتبة التوفيقية بدون تاريخ ورقم الطبعة.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٣٩٨- ٣٩٩.

في الأرض، ولا عاملا فيها العمل الذي أودعه الله في الإنسان، وهو السلطنة على الموجودات، ولو أن القوم رجعوا إلى قوانين اللغة العربية وأساليبها في فهم هذا النص، على نحو ما مر ما كان لهم أن يتفوهوا بهذه الخرافات، لكن رغبة القوم في القيام بالتشويش على جمال وروعة القرآن الكريم أعمت القوم عن فهم معانية ونشرها بين بني جلدتهم، وجعلتهم ينفرون من حقائقه ووضوحه، وتماديا في غيهم وضلالهم يحاولون إضلال الخلق، والله أعلم.

وكأن القوم قد جندوا أنفسهم لحمل لواء الباطل هنا وهناك، والسؤال هنا لمصلحة من؟ ولأية مكاسب؟ وأيا كانت هذه المصلحة، وهذه المكاسب، فما وجه المقارنة بين هذه الأمور وبين خسارة الآخرة؟

***وأما بالنسبة للسؤال الخامس وهو: هل تعترض الملائكة على الله؟**

والجواب عن ذلك أن الملائكة خلق كريم من خلق الله تعالى مفطورون على الطاعة، منزهون عن المعاصي ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، و: ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ومما لا شك أن الاعتراض فيه ما فيه من سوء الأدب ولا سيما مع الله سبحانه وتعالى، ومن هنا فمن المسلم به أن القصد من هذا السؤال ليس الاعتراض أبدا، وإنما المراد منه أمور أخرى، نترك القول فيها للإمام الفخر الرازي فقد ذكر هذا الاعتراض وأجاب عنه فأجاد إذ يقول:

قولهم أنهم اعترضوا على الله تعالى وهذا من أعظم الذنوب فنقول إنه ليس غرضهم من ذلك السؤال تنبيه الله على شيء كان غافلاً عنه ، فإن من اعتقد ذلك في الله فهو كافر ، ولا الإنكار على الله تعالى في فعل فعله، بل المقصود من ذلك السؤال أمور:

أحدها: أن الإنسان إذا كان قاطعًا بحكمة غيره ثم رأى أن ذلك الغير يفعل فعلاً لا يقف على وجه الحكمة فيه فيقول له أتفعل هذا؟ كأنه يتعجب من كمال حكمته وعلمه ، ويقول إعطاء هذه النعم لمن يفسد من الأمور التي لا تهتدي العقول فيها إلى وجه الحكمة، فإذا كنت تفعلها، وأعلم أنك لا تفعلها إلا لوجه دقيق، وسر غامض أنت مطلع



عليه فما أعظم حكمتك وأجل علمك!! فالحاصل أن قوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كأنه تعجب من كمال علم الله تعالى وإحاطة حكمته بما خفي على كل العقلاء .

وثانيها: أن إيراد الإشكال طلباً للجواب غير محذور فكأنهم قالوا إلهنا أنت الحكيم الذي لا يفعل السفه ألبتة ونحن نرى في العرف أن تمكين السفيه من السفه سفه فإذا خلقت قوماً يفسدون ويقتلون وأنت مع علمك أن حالهم كذلك خلقتهم ومكنتهم وما منعتهم عن ذلك فهذا يوهم السفه وأنت الحكيم المطلق فكيف يمكن الجمع بين الأمرين فكأن الملائكة أوردوا هذا السؤال طلباً للجواب ، وهذا جواب المعتزلة قالوا : وهذا يدل على أن الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى وكانوا على مذهب أهل العدل قالوا والذي يؤكد هذا الجواب وجهان : أحدهما : أنهم أضافوا الفساد وسفك الدماء إلى المخلوقين لا إلى الخالق . والثاني : أنهم قالوا: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ لأن التسبيح تنزيه ذاته عن صفة الأجسام والتقديس تنزيه أفعاله عن صفة الذم ونعت السفه.

وثالثها: أن الشرور وإن كانت حاصلة في تركيب هذا العالم السفلي إلا أنها من لوازم الخيرات الحاصلة فيه وخيراتها غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير فالملائكة ذكروا تلك الشرور ، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الخيرات الحاصلة من أجل تراكيب العالم السفلي أكثر من الشرور الحاصلة فيها والحكمة تقتضي إيجاد ما هذا شأنه لا تركه وهذا جواب الحكماء.

ورابعها: أن سؤالهم كان على وجه المبالغة في إعظام الله تعالى فإن العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه.

وخامسها: أن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ مسألة منهم أن يجعل الأرض أو بعضها لهم إن كان ذلك صلاحاً فكأنهم قالوا: يا إلهنا اجعل الأرض لنا لا لهم كما قال موسى عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السفهاء مِنَّا﴾ [الأعراف: ٥٥] والمعنى لا تهلكنا فقال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ من صلاحكم وصلاح هؤلاء الذين أجعلهم في الأرض فبين ذلك أنه اختار لهم السماء خاصة ولهؤلاء الأرض

خاصة لعلمه بصلاح ذلك في أديانهم ليرضى كل فريق بما اختاره الله له.

**وسادسها:** أنهم طلبوا الحكمة التي لأجلها خلقهم مع هذا الفساد والقتل.

**وسابعها:** قال القَفَّال يحتمل أن الله تعالى لما أخبرهم أنه يجعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها ، أي ستفعل ذلك فهو إيجاب خرج مخرج الاستفهام[1].

– فأنت ترى الإمام رحمه الله تعالى قد أجاب عن هذا الإشكال بما يكشف عن وجه الحق فيه، وذلك من خلال إنصافه، واستخدامه لقوانين وأساليب اللغة العربية والتي بها نزل القرآن الكريم في ضوء قواعد الشرع الحكيم.

***وأما الجواب عن السؤال السادس أعني: هل تعلم الملائكة الغيب، وهو ما يستأثر الله به وحده؟**

فإنا نقول: يحتمل أن يكونوا قد فهموا ذلك من تسميته خليفة؛ لأن الخلافة تقتضي الإصلاح بين المتخاصمين، وقهر المستخلف عليه، وهذا يستلزم أن يصدر فساد عنه، أو أن الأمر كما حكى الشيخ الطاهر بن عاشور حيث قال: ومجرد مشاهدة الملائكة لهذا المخلوق العجيب المراد جعله خليفة في الأرض كاف في إحاطتهم بما يشتمل عليه من عجائب الصفات على نحو ما سيظهر منها في الخارج لأن مداركهم غاية في السمو لسلامتها من كدرات المادة ، وإذا كان أفراد البشر يتفاوتون في الشعور بالخفيات، وفي توجه نورانية النفوس إلى المعلومات ، وفي التوسم والتفرس في الذوات بمقدار تفاوتهم في صفات النفس جبلية واكتسابية ولدنية التي أعلاها النبوة ، فما ظنك بالنفوس الملكية البحتة؟[2].

– ويضيف الإمام الرازي رحمه الله تعالى وجوها أخرى فيقول: أحدها: أنه تعالى لما قال للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً﴾ قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا، فعند ذلك قالوا: ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. وثانيها : أنه تعالى كان قد أعلم

(١) مفاتيح الغيب ٢/ ١٦٨طبعة التوفيقية بدون تاريخ ورقم الطبعة.

(٢) التحرير والتنوير ٤٠٣/١.



الملائكة أنه إذا كان في الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء. وثالثها: قال ابن زيد لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة خوفاً شديداً فقالوا : ربنا لمن خلقت هذه النار؟ قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن لله يومئذ خلق إلا الملائكة ولم يكن في الأرض خلق البتة فلما قال : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً﴾ عرفوا أن المعصية تظهر منهم . ورابعها : لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك . وخامسها : إذا كان معنى الخليفة من يكون نائباً لله تعالى في الحكم والقضاء ، والاحتياج إلى الحاكم والقاضي إنما يكون عند التنازع والتظالم كان الإخبار عن وجود الخليفة إخبارًا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام قال أهل التحقيق والقول بأنه كان هذا الأخبار عن مجرد الظن باطل لأنه قدح في الغير بما لا يأمن أن يكون كاذباً فيه ، وذلك ينافي العصمة والطهارة[1].

**قلت:** أيًا كان الأمر ففيما قال هذان الإمامان جوابٌ كافٍ عن هذا السؤال المطروح من هؤلاء.

ويمكن أن يقال: أن الله تعالى خلق في هؤلاء الملائكة علما بأحوال بني آدم لأن الملائكة كما قالوا عن أنفسهم: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ سواء كان هذا العلم بإخباره لهم صراحة أم أنهم توصلوا إلى ذلك من طريق ما عرفهم الله إياه كالفراسة، أو فهموا ذلك من كلمة خليفة، أو غير ذلك فإن القوم لم يطرحوا هذا السؤال من قبل معرفتهم بشيء قضى الله بتغييبه عنهم لأن ذلك محال، والله أعلم.

***وأما سؤالهم من السابع إلى العاشر، نقول:** إنهم – أعني: الملائكة– عرفوا ذلك إما بإخبار الله تعالى لهم بذلك، أو من لفظ خليفة حتى أن الخليفة من تخليف بعضهم بعضًا على نحو ما قد مر، أو من حال من سبق بني آدم على ظهر الأرض على القول به، وعلى أية حال فقد علموا بذلك من الله سبحانه وتعالى، ولم يكن علمًا ذاتيًا لهم غير مكتسب من الله تعالى فذلك محال؛ لأن الملائكة كل مابهم من الله عز وجل وفيما سبق من إجابات عن الأسئلة السابقة، إجابة عن الأسئلة التي معنا أيضًا فلتراجع.

(١) مفاتيح الغيب ١٦٩/٢– ١٧٠.

***وأما سؤالهم الحاي عشر وهو هل يعطي الله مبررًا لأعماله وتصرفاته لخليفته من الملائكة؟**

**الجواب عن هذا السؤال بما سبق أن قلناه عند الجواب عن السؤال الأول من أن ذلك لم يكن على سبيل إعطاء مبررًا لأفعاله كما زعموا، وإنما ذلك على سبيل التكريم والتشريف لملائكته، أو أن ذلك كإعطاء الأستاذ تلميذه معلومة يجهلها من طريق طرح الأسئلة ليلقنه الجواب، والقوم إما أنهم لا يعلمون هذا الوجه من التعليم فالأولى أن يتعلموه، وإما أنهم يعلمون ذلك ولكنهم يتغابون لضغينة في أنفسهم وحقد أشربته قلوبهم فهذه مصيبة ابتلي بها هؤلاء، ومرض عضال أصيبت به عقولهم، فأحرى بهم أن يعالجوا أنفسهم منه بدل أن يحاولوا أن يُدخلوا بها على غيرهم شرًا الله وحده يعلم عاقبته، وعلى أية حال فجهالة هؤلاء بحق كلام العليم الخبير واضحة، يفضحها فيهم ما يرددون من هذه الخرافات والدعاوى الباطلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.**

***وأما سؤالهم الثاني عشر -أعني: قولهم هل يعير الملائكة الله لأنهم يسبحونه ويقدسونه فكان ذلك كرمًا منهم وتفضلاً على الله؟**

**الجواب عن هذا السؤال:** أن هذا ليس تعييرًا كما زعموا لأن الملائكة أجل من ذلك وأعقل وهم كما وصفهم خالقهم ﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]، وكما قال أيضًا ﴿عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [ التحريم: ٦]، وإنما ذلك من قبيل ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ، أو خشية أن يكون منهم تقصير كان سببًا في خلق هذا الخليفة، أو أن الأمر كما حكى الإمام الرازي في تفسيره حيث قال: المراد من هذا السؤال ما أوردناه لنقدح به في حكمتك يا رب فإنا نسبح بحمدك ونعترف لك بالألوهية والحكمة، فكأن الغرض من ذلك بيان أنهم ما أوردوا هذا السؤال للطعن في الحكمة الإلهية بل لطلب وجه الحكمة على سبيل التفصيل[1].

(١) مفاتيح الغيب ١٦٩/٢.



## الخاتمة

هذا ما أردنا أن نقف عليه من شبهات هؤلاء في هذا المقام، وإن كانت لهم شبهات أخرى نرجئ الحديث عنها لبحث آخر إن شاء الله تعالى، ولكن الذي نحب أن نؤكد عليه هنا من خلال ما سبق أن هؤلاءأناس كاذبون أفاكون مروجون للأكاذيب والافتراءات هذا هو همهم ومقصدهم وليس همهم كشف الحقيقة وإيضاحها ولو كان عندهم مثقال ذرة من الموضوعية والرغبة في معرفة الحقيقة لرجعوا إلى أهل الاختصاص في هذا المجال وعندئذ سيجدون عندهم ما يوضح لهم الحقيقة بدون تجميل أو تعسف، وماذا عليهم لو فعلوا ذلك بهدف أن يكونوا من جنود الحق والخير ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، ولكن هؤلاء لهم وجهة أخرى وغاية مختلفة بعيدًا عن الحق والحقيقة بدافع حقد في نفوسهم وحسد في صدورهم جعلهم يتحدثون عن القرآن المجيد بهذا النحو وغاب عنهم أن هذه الآيات قرئت كثيرًا على السابقين من علماء اليهود والنصارى وعندهم من الحرص مثل ما عند هؤلاء من الرغبة في الكيد للإسلام إن لم يكن أشد ولكنهم لم يتفوهوا بمثل ما تفوه به هؤلاء تسليمًا منهم بصحة ما جاء فيه، ولو كان ما جاء في كلام هؤلاء صحيحًا لأقام السابقون الدنيا وما أقعدوها، ولعل موقف اليهود من أمر القبلة خير شاهد على ذلك فعندما استقبل المسلمون قبلتهم قالوا: ما بال محمد يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا[1].

وعندما أُمر بالتحول إلى البيت الحرام قالوا كما أخبرنا القرآن الكريم: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، وعلى أية حال فهذا هو شأن القوم وشأن كل من يحاول أن يكيد لهذا الدين، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ دينه وكتابه، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨-٩]، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) الدر المنثور ٣٥٤/١، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٣م.

***وأما سؤالهم الحاي عشر وهو هل يعطي الله مبررًا لأعماله وتصرفاته لخليفته من الملائكة؟**

**الجواب عن هذا السؤال بما سبق أن قلناه عند الجواب عن السؤال الأول من أن ذلك لم يكن على سبيل إعطاء مبررًا لأفعاله كما زعموا، وإنما ذلك على سبيل التكريم والتشريف لملائكته، أو أن ذلك كإعطاء الأستاذ تلميذه معلومة يجهلها من طريق طرح الأسئلة ليلقنه الجواب، والقوم إما أنهم لا يعلمون هذا الوجه من التعليم فالأولى أن يتعلموه، وإما أنهم يعلمون ذلك ولكنهم يتغابون لضغينة في أنفسهم وحقد أُشربته قلوبهم فهذه مصيبة ابتلي بها هؤلاء، ومرض عضال أصيبت به عقولهم، فأحرى بهم أن يعالجوا أنفسهم منه بدل أن يحاولوا أن يُدخلوا بها على غيرهم شرًا الله وحده يعلم عاقبته، وعلى أية حال فجهالة هؤلاء بحق كلام العليم الخبير واضحة، يفضحها فيهم ما يرددون من هذه الخرافات والدعاوى الباطلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.**

***وأما سؤالهم الثاني عشر -أعني: قولهم هل يعير الملائكة الله لأنهم يسبحونه ويقدسونه فكان ذلك كرمًا منهم وتفضلاً على الله؟**

**الجواب عن هذا السؤال:** أن هذا ليس تعييرًا كما زعموا لأن الملائكة أجل من ذلك وأعقل وهم كما وصفهم خالقهم ﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]، وكما قال أيضًا ﴿عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [ التحريم: ٦]، وإنما ذلك من قبيل ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] ، أو خشية أن يكون منهم تقصير كان سببًا في خلق هذا الخليفة، أو أن الأمر كما حكى الإمام الرازي في تفسيره حيث قال: المراد من هذا السؤال ما أوردناه لنقدح به في حكمتك يا رب فإنا نسبح بحمدك ونعترف لك بالألوهية والحكمة، فكأن الغرض من ذلك بيان أنهم ما أوردوا هذا السؤال للطعن في الحكمة الإلهية بل لطلب وجه الحكمة على سبيل التفصيل[1].

(١) مفاتيح الغيب ١٦٩/٢.



## الخاتمة

هذا ما أردنا أن نقف عليه من شبهات هؤلاء في هذا المقام، وإن كانت لهم شبهات أخرى نرجئ الحديث عنها لبحث آخر إن شاء الله تعالى، ولكن الذي نحب أن نؤكد عليه هنا من خلال ما سبق أن هؤلاءأناس كاذبون أفاكون مروجون للأكاذيب والافتراءات هذا هو همهم ومقصدهم وليس همهم كشف الحقيقة وإيضاحها ولو كان عندهم مثقال ذرة من الموضوعية والرغبة في معرفة الحقيقة لرجعوا إلى أهل الاختصاص في هذا المجال وعندئذ سيجدون عندهم ما يوضح لهم الحقيقة بدون تجميل أو تعسف، وماذا عليهم لو فعلوا ذلك بهدف أن يكونوا من جنود الحق والخير ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، ولكن هؤلاء لهم وجهة أخرى وغاية مختلفة بعيدًا عن الحق والحقيقة بدافع حقد في نفوسهم وحسد في صدورهم جعلهم يتحدثون عن القرآن المجيد بهذا النحو وغاب عنهم أن هذه الآيات قرئت كثيرًا على السابقين من علماء اليهود والنصارى وعندهم من الحرص مثل ما عند هؤلاء من الرغبة في الكيد للإسلام إن لم يكن أشد ولكنهم لم يتفوهوا بمثل ما تفوه به هؤلاء تسليمًا منهم بصحة ما جاء فيه، ولو كان ما جاء في كلام هؤلاء صحيحًا لأقام السابقون الدنيا وما أقعدوها، ولعل موقف اليهود من أمر القبلة خير شاهد على ذلك فعندما استقبل المسلمون قبلتهم قالوا: ما بال محمد يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا[1].

وعندما أُمر بالتحول إلى البيت الحرام قالوا كما أخبرنا القرآن الكريم: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾، وعلى أية حال فهذا هو شأن القوم وشأن كل من يحاول أن يكيد لهذا الدين، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ دينه وكتابه، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨-٩]، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) الدر المنثور ٣٥٤/١، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٣م.

# المراجـــع


١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي.

٣- البحر المحيط-لأبي حيان، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤١١هـ.

٤- البرهان في علوم القرآن- للزركشي، دار المعرفة- بيـروت، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٥- التحرير والتنوير- لابن عاشور- طبعة المدينة المنورة، بدون تاريخ ورقم الطبعة.

٦- الجامع لأحكام القرآن الكريم- للقرطبي، دار احياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ.

٧- الدر المنثور-للسيوطي، دار الفكر- بيروت ١٩٩٣م.

٨- تفسير القرآن العظيم- لابن كثير، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

٩- تفسير آيات الأحكام-للسايس، طبعة مؤسسة المختار، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٠- جامع البيان في تأويل القرآن- للطبري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

١١- روح المعاني- للألوسي، طبعة دار الفكر، دون ذكر رقم الطبعة.

١٢- لباب التأويل في معاني التنزيل- للخازن.

١٣- معالم التنزيل- للبغوي، دار طيبة، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ تحقيق: محمد عبد الله النمر.

١٤- مفاتيح الغيب- للرازي، طبعة المكتبة التوفيقية بون تاريخ ورقم الطبعة.

١٥- صحيح البخاري- دار ابن كثير- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا.





١٦- صحيح مسلم- دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٧- سنن الترمذي- دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٨- سنن ابن ماجه- دار الفكر بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

١٩- مسند أحمد- مؤسسة قرطبة – القاهرة، تعليق شعيب الأرنؤوط.

٢٠- فتح الباري- لابن حجر، طبعة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٢١- لسان العرب- لابن منظور، طبعة دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى.

٢٢- رمسيس الثاني- فرعون المجدد الانتصار، تأليف K.A K.T CHEN ترجمة: أحمد زهير أمين.

٢٣- العهد القديم- طبعة دار الكتب المقدسة في الشرق الأوسط، بدون تاريخ ورقم الطبعة.

٢٤- مفتريات المبشرين على الإسلام، للدكتور/ عبد الجليل شلبي، طبعة المختار الإسلامي، الطبعة الثالثة

٢٥- موقع الدكتور زغلول النجار على شبكة الإنترنت.


**تمت بحمد الله**

# الفهـــــرس

المقـدمـــــة.................................................... ٣٦١
الشبهـــة الأولى................................................ ٣٦٢
الشبهـــة الثــانيــة.............................................. ٣٦٤
الشبهـــة الثالثــة............................................... ٣٦٧
الشبهـــة الرابعة................................................ ٣٧٢
الشبهـــة الخامســة ............................................ ٣٧٩
الشبهـــة السادسة.............................................. ٣٨١
الشبهة السابعـــة ............................................... ٣٨٣
الشبهة الثامنــة ................................................. ٣٨٧
الشبهة التاسعـــة .............................................. ٣٩٠
الشبهة العاشرة.................................................. ٣٩٣
الشبهة الحادية عشرة............................................ ٣٩٦
الخاتمـــة ....................................................... ٤٠٥
المـــراجع ....................................................... ٤٠٦
الفـــهرس........................................................ ٤٠٨

*** 